Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قال الخفاجى : « وهذا الذى ذكره أبو العلاء وسبق له وجه يجب تقبله واتباعه فيه . وفحوى كلام قطرى تدل على أنه أراد أنه جرح ولم يمت إعلاماً أن الإقدام غير علة فى الحِمام وحض على الشجاعة وبغض الفرار .[٥٠]

لم يكن الأمر إذن على السذاجة التى افترضت فى شأن « المحسنات » ، وقد ظهر الدور الجوهرى الذى يمكن أن تؤدى إليه فى بناء الصورة وتوجيه المعنى بمقابلة بريئة المظهر بين الجذع والقارح ، ويمكن أن نجد لذلك أشباهاً كثيرة تتعلق بفنون أخرى مما يعرف بعلم البديع ، وهذه التسمية مختصة بالزخرفة اللفظية قد اقترنت بالعصر الوسيط – ما بعد القرن السادس الهجرى – حين انحطت الحياة الاجتماعية العربية أمام الغزو الأوربى وزحف العناصر التركية ، وانهيار النظام والروح العربية وتحلل القيم الثقافية تمهيداً لذلك ونتيجة له أيضاً ، فى تلك الفترات صار اللعب بالألفاظ هدفاً فى ذاته ، وصار تنضيد العبارات كما تنضد قطع « الأرابيسك » فى نقوش المساجد والقصور ، مجرد نسب ولون وصوت بلا مضمون ، وهذا ما لا ندافع عنه ، هذا الإسراف ليس هو الذى نعنيه حين نقترح إعادة النظر فى تقسيم علوم البلاغة ، وتقسيم فنون البديع بين محسنات معنوية وأخرى لفظية . إن البلاغى المعاصر حين ينشأ على هذه العقيدة ويدفع إليها بالشعر فإن رؤيته تتجمد عند هذه الفنون ، وكأن الشعر لا يعنى سواها ، وكأنها لا تعنى غير البهرج والزينة ، فى حين أننا ضربنا أمثلة عديدة ، ولا يزال باستطاعتنا أن نقدم المزيد فى هذا المجال لنؤكد أن المحسن البديعى حين يكتشفه (وليس يصنعه) ذهن مدرب أو خيال ثاقب فإنه يصير جزءاً أساسيًّا من المعنى ، وعنصراً لا يمكن تجاهله فى إقامة الصورة ، ومن التبسيط المخل أن يتصور أحد أن المعنى أو الصورة قد تمت قبل أن يأخذ مكانه . هذا شىء يمكن أن نجد عليه عشرات الأمثلة من الشعر القديم والحديث فى فنون التتميم والإيغال والغلو والالتفات . انظر مثلا قيمة الالتفات من المضارع إلى الماضى فى قول (تأبط شراً) فى صراعه مع الغول :

بأنى قد لقيت الغول تهوى بشهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجران

---

(٥٠) حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٨٢ ، ١٨٣ .